التربية العربية والديمقراطية

أ.د. أحمد حلواني
مدير عام مركز الدراسات المستقبلية العربية
جامعة دمشق- سورية

الديمقراطية والتنمية والتربية ركائز ثلاث في مقومات ما سأتحدث فيه أمام حضراتكم. فعملية تطوير وتعزيز النظام الديمقراطي تشكل عنصراً جوهرياً في عملية التنمية[1] وتتمثل أهمية الديمقراطية في ثلاث فضائل متمايزة:

1- في طبيعتها الجوهرية.
2- في إسهاماتها الأدائية.
3- في دورها البنائي في ابتكار قيم ومعايير[2].

أما التربية فتشكل العمود الفقري لعملية التنمية. والاهتمام بالعملية التربوية هو اهتمام دائم ومستمر ويشكل ركيزة استراتيجية في العملية التنموية لأي مجتمع من المجتمعات بحيث تكون العملية التربوية مواكبة لجميع التطورات والتغيرات التي يمر بها المجتمع والنتائج التي تنجم عنها. وإذا كانت التربية في الوطن العربي في شكلها الحديث الذي أسست عليه منذ بدايات القرن العشرين والتي اعتمدت قيم وتراث المجتمع العربي الإسلامي في تقديم العلوم الحديثة، فإن التطور العولمي لا بد وأن يجعل من التربية مواكبة للعولمة بقيمها ومفاهيمها الجديدة. فالمتغيرات التي يشهدها العالم أثّرت في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وأوجدت تحولات في مفاهيم وقيم كثيرة بما فيها الاتجاهات والأنماط السلوكية والقيم الاجتماعية، وفي ذلك يقول الكسندر كنغ: إننا وسط مخاض

---

[1]- إمارتية حسن (ت) شوقي جلال: التنمية حرية، عالم المعرفة(الكويت: مايو (أيار) 2004) ص193.
[2] المرجع نفسه، ص193.

طويل وشاق سيؤدي بشكل أو بآخر إلى ميلاد مجتمع معولم لا نستطيع أن نتكهن من الآن بهيكليته[3].

إن التربية ومؤسساتها التعليمية المختلفة هي الميدان الأهم في استيعاب ومواجهة هذه الظاهرة العولمية الجديدة. فهي الجهة التي تتولى مسؤولية إعداد الجيل لتحمل مسؤولية التنمية والنهوض والتطور. الأمر الذي يتطلب تجديداً في الأفكار وتطويراً في البرامج وتحديثاً في المناهج والأساليب في مواجهة تعولم الأسواق والثقافات والمعلومات [4].

يجمع التربويون على أن التربية هي الحياة وأن هذه التربية وفق منظمة اليونسكو هي (تعليم لتكون) [5] وبهذا فإن عملية تطوير المجتمع وتغيره لتحمل مسؤوليات المستقبل هي إحدى المهمات الأساسية للعملية التربوية.

واستناداً إلى ما سبق فإن عملية التخطيط التربوي لمد المجتمع العربي بمقومات المواجهة وتحقيق التطور التنموي ونشر الثقافة المعرفية والديمقراطية ووقاية المجتمع من التشتت والتخبط في التعامل مع قيم العولمة الحديثة هي الكفيلة والركيزة لتحقيق القوة البنيوية للبناء والتفاعل الحي مع المستجدات.

وقبل البدء بالحديث عن أسس التخطيط التربوي المقترح لا بد من الحديث عن السمات العامة للتربية العربية التي يلخصها الدكتور عبد الله عبد الدايم على النحو التالي[6]:

1- اقتصار الجهود التربوية أو توجيه معظمها نحو التربية النظامية المؤسساتية، وإهمال برامج التربية غير النظامية وعائدها الإنمائي.

2- أحادية التوجه الكمي أو اتباع استراتيجية النمو الكمي للتعليم على حساب نوعيته.

3- اقتصار التعليم على العمل المدرسي المعزول عن حياة المجتمع وواقعه.

---

[3]- الحبيب الجنحاني: **ظاهرة ا لعولمة، الواقع والآفاق**، عالم الفكر، الكويت، العدد 1999/2، ص11.

[4] الفن توفلر، **حضارة الموجة الثالثة**، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر، بنغازي، ليبيا،1990، ص17.

[5]- ادغار فور، **تعلم لتكون**، ترجمة حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر،1974.

[6]- د. عبد الله عبد الدايم، **الرؤى المستقبلية للتربية** في **البلاد العربية**، مجلة شؤون عربية، القاهرة، العدد (101) مارس (آذار) 2000، ص118.

4- إتباع مناهج رسمية ومركزية جادة، مع التركيز على استخدام الكتب المقررة نفسها في جميع المدارس، وعدم توفير المرونة للمعلم في اختيار ما هو ملائم لقدرات الطلبة واحتياجاتهم واهتماماتهم.

5- تعاني التربية من إشكالية إعادة إنتاج عنصر الأزمة التي يعاني منها الفكر العربي والثقافة العربية بسبب الافتقار إلى الفلسفة التربوية، وضعف التحصيل الدراسي لدى الطلبة.

6- تركز معظم الأنظمة التربوية في الوطن العربي على تعليم الطلبة النظام والطاعة المطلقة، ثم القراءة والكتابة عن طريق التعليم، و تعليم الطلبة ضرورة المحافظة على قيم ومعايير المجتمع التي من شأنها ترسيخ الوضع القائم.

7- تقوم فلسفة التربية في معظم البلاد العربية على أساس أن التعليم يجب أن يخدم التنمية، بمعنى أن يكون هناك ربط بين مخرجات التعليم وسد حاجات المجتمع من الموارد البشرية، ولذلك يصبح هدف التعليم الأساسي هو توفير الكوادر للقيام بالوظائف والمهن التي يحتاجها المجتمع، وبالتالي فإن ذلك ينعكس على إهمال التربية لقضية الربط بين التعليم والثقافة والمعرفة والفكر ومتطلبات عملية التغيير الاجتماعي.

8- ما زالت التربية العربية بعيدة عن الوظائف الأساسية للتربية وهي الإسهام في التغيير والتجديد النوعي، ونشر قيم الديمقراطية والعدالة والحرية والمساواة والتفكير المستقل وحرية الرأي والتغيير، إذ إن التربية العربية تسعى إلى التركيز على الطاعة المطلقة، والمحافظة على ما هو قائم مع قليل من التغيير.

ويضيف د.عبد الدائم في وصف حالة التربية العربية قائلاً: وفي ظل هذه الظروف تتحول المدرسة إلى مجتمع أبوي يشبه إلى حد كبير مجتمع العائلة التقليدي، حيث يسود احترام السلطة الهرمية الأمر الذي يؤدي إلى تفشي أخلاق الطاعة والخضوع، وإيثار التقليد على التجديد ويؤدي إلى إصابة المجتمع بالعجز عن دخول الثورة العلمية والمشاركة الخلاقة فيها.

ويفصل د. عبد الدايم عناصر امتلاك الاستعداد للتعامل مع المستقبل بالشكل الآتي[7]:

1- التركيز على (التعليم الذاتي) كونه أبرز عنصر من عناصر تربية المستقبل، وفي هذا السياق لا بد من التأكيد على ضرورة أن يكون الإنسان قابلاً لأن يتعلم لا إنساناً متعلماً فحسب، يجب أن يتم

7- د. عبد الله عبد الدايم، المصدر نفسه، ص129-131.

إعداد إنسان يملك الأدوات والمعارف والمهارات اللازمة لكي يزداد علماً ويصبح قادراً على مواجهة كل جديد وخاصة بعد انتشار الحاسوب والإنترنت وسائر وسائل المعرفة والإعلام والاتصال.

2- الاهتمام بموضوع التربية المستمرة الدائمة طوال الحياة، حيث إنها عنصر مهم من عناصر التربية المستقبلية، وهو مرتبط بعنصر التعليم الذاتي ويكمله، وهنا يجب ذكر ما ورد في الحديث الشريف «يظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإن ظن أنه علم فقد جهل» ومن أهم فضائل التربية المستمرة وما يشتمل عليه من تدريب وتجديد للتدريب، أنها يمكن أن تكون أفضل الحلول لتحقيق التوافق بين حاجات سوق العمل وهي متغيرة بسرعة، وبين مخرجات النظام التربوي التي كثيراً ما يتقادم عليها الزمن ويبطلها التطور السريع لأدوات الإنتاج.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الاهتمام بالتربية المستمرة ونشرها وإتقانها من شأنه أن يساعد على إعادة النظر في المدرسة النظامية من حيث المناهج والبيئة وعدد سنوات الدراسة، إذ أنه في وسع التربية المستمرة أن تفتح للطالب إمكانات التكيف مع المستقبل، عن طريق تجديد التدريب والمعرفة والإعداد دوماً و أبداً، بحيث يصبح المجتمع كله، مجتمعاً عالماً متعلماً.

3- الاهتمام بتكوين المواقف والاتجاهات النفسية والمهارات التي لا بد منها للتكيف مع أي طارئ جديد في شكل العمل أو أدواته أو مستلزماته في المستقبل، وهذا هو العنصر الثالث من عناصر التربية المفتوحة على المستقبل، فالاهتمام بالمواقف والاتجاهات النفسية يركز على الاتجاهات اللازمة للنجاح في الأعمال على مختلف أنواعها مثل الإتقان، وامتلاك القدرة على التخطيط، والقدرة على التعاون مع الآخرين، والقدرة على التكيف مع المواقف الجديدة وامتلاك روح الخلق والإبداع، والقدرة على فهم المبتكرات العلمية الجديدة والتعامل معها، فضلاً عن معرفة أساليب البحث العلمي والتمرس بها، بالإضافة إلى إدراك الصلة بين حقائق العلم والتقانة وبين ما يجري في المجتمع العلمي.

إن مسايرة غرس القيم الإنسانية المتلائمة مع العولمة لا بد أن تتماشى مع هذه المنافسة لامتلاك مقومات عصر العلم والتقانة وكما بدأت التربية العربية منذ عملية تحديثها في أعقاب الحرب العالمية الأولى بالاعتماد على القيم والتراث والأخلاق العربية الإسلامية جنباً إلى جنب مع العلوم الحديثة والمنهجية الغربية فإن ما يجب أن توليه التربية العربية المعاصرة أو ما يسميه البعض استناداً إلى اليونسكو تربية المستقبل (تربية القرن الحادي و العشرين) بحيث تستطيع هذه التربية غرس وتنمية

الطاقات المبدعة لدى الأفراد وفي تماسك المجتمع وفي غرس روح النقد والشك وتعلم النسبية والاستقلال وتضامن العلوم والمعارف والاختصاصات والمرونة وقيم الحوار والمسؤولية والاعتراف بالرأي الآخر وتعميم ثقافة الديمقراطية. وتعظيم القيم المضافة الفعالة لها لأن وجود ثقافة نوعية تعزز الديمقراطية على مستوى القيم والاختيارات والأفعال والتصرفات وتنظيم العلاقات بين القوى والتنظيمات الاجتماعية والسياسية بما توفره من ضوابط وتتيح من فرص للتعلم الديمقراطي الذاتي تعزز وتعمق الثقافة والمعرفة وفق الأسس الديمقراطية.

وأمر آخر لا بد من التأكيد عليه في مقومات التربية المعاصرة هو القدرة على استشراف المستقبل ومن هنا نشأت علوم جديدة سميت بعلوم المستقبليات وهو ما يجب أن نمكن جيلنا الجديد من امتلاك مقوماته وتحليلاته والتنبؤ العلمي به.

يحدد د. محمد جواد رضا الأهداف التي يتوجب على المخططين التربويين أن يهدفوا إليها ضمن نقاط عشر هي[8]:

1- تحقيق حالة من التوازن العقلاني بين التوجهات الدينية ومستلزمات التفكير العلمي. لا بد أن نغرس في أذهان أطفالنا وشبابنا أن كل المشكلات الاجتماعية لها أسبابها المادية وأن حل هذه المشكلات لا يتم إلا بإخضاعها لمنطلق العلم تحت القيادة الأخلاقية للعقيدة الدينية.

2- التربية العربية يجب أن تكون تربية ديمقراطية. حتى الآن استخدمت المؤسسة التربوية العربية أداة للتلقين وعدم التسامح. حرية الفكر لا تمارس في الصفوف، بل هي محجورة أحياناً كثيرة حتى على مستوى الجامعات العربية. الطريقة الوحيدة لمواجهة النزعة الأوتوقراطية هي بالتربية على التفكير الحر واحترام الرأي الآخر اتفقنا معه أم لم نتفق.

3- التربية العربية يجب أن تلتزم بتقوية روح الإبداع عند الأفراد وتبصيرهم بأن الماضي يمكن أن يكون مصدراً من مصادر الحكمة... ولكن الماضي لا يستطيع أن يوفر حلولاً لمشاكل الحاضر.

---

8 - محمد جواد رضا، **حدود القدرة والإحباط** في **التخطيط العربي التربوي**، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 14، عدد1، 1996، الكويت،ص309.

4- التربية العربية يجب أن تكون تربية حرة، حرة بمعنى أن الحقيقة يمكن أن تكتشف فقط لا أن تلقن. التلقين يلغي حرية الفهم ومعرفة الأسباب. التلقين هو طريقة معبدة إلى الرق العقلي وهذا هو أخطر ما يواجه العرب ويتهددهم اليوم.

5- التربية العربية يجب أن تعزز صورة الفرد عن نفسه كـ (كائن) حر وصاحب سيادة على نفسه وحياته، كائن يدخل في (علاقة تعاقدية) مع الآخرين، علاقة موجهة نحو الحفاظ على القيمة المتكافئة لكل الأطراف الداخلة في هذا التعاقد.

6- التربية العربية يجب أن توجه لتربية الأفراد على رفض المحسوبية وإسقاطها من تفكيرهم والاعتياد على أن ما يأخذونه يجب أن يكون (حقاً) يحصلون عليه بالكفاية والعمل وليس (معروفاً) يتفضل به عليهم. ولا (امتيازاً) يستمتعون به لأسباب لا عقلانية. هذا هو الطريق إلى بناء الاستقلال الذاتي داخل الفرد.

7- الأجيال العربية الجديدة يجب أن تقاد ـ من خلال التربية ـ إلى اكتشاف الأسس البايولوجية والأخلاقية للمساواة بين المرأة والرجل وهم يجب أن يعانوا على تقبل إنسانية الإنسان ـ ذكراً كان أم أنثى ـ أساساً للتعامل معه.

8- المؤسسة التربوية العربية يجب أن تثبت للأجيال الناشئة أن القومية العربية هي حقيقة وليست ادعاء وذلك بإعطاء الأطفال والشباب العرب حقوقاً تربوية متكافئة عبر الحدود السياسية.

9- التربية العربية يجب أن توجه بوتيرة متعاظمة نحو التدريب التكنولوجي لتعزيز حركة التصنيع. النمط التربوي الذي شاع حتى الآن هو - بطبيعته اللفظية والورقية Bookish - عقبة كبرى في طريق التصنيع والتنمية الاقتصادية.

10- التربية العربية المعاصرة لها مسؤولية عظمى إزاء تنمية الإيمان بالعدل الاجتماعي وجعله هدفاً أخلاقياً لكل فرد. باطلاع الطلاب على حقائق الدخل القومي وتوزيع هذا الدخل ومستوى الدخول والعلاقة الطردية بين الدخل وضرورات العيش الأساسية ووضع القوة العاملة... بتنوير الشباب بهذه الأمور الحيوية وما يتصل بها بحيث نستطيع أن نزيد وعيهم بمسببات الظلم الاجتماعي وسبل التحرر منه.

هناك مقومات أخرى لا بد من التطرق إليها إضافة إلى ما ذكرته عبر كل من د. عبـد الدايم ود. جواد رضا وهو مفهوم الحرية الأكاديمية ووضعها ضمن مقدسات العمل التربوي وبالتالي ضمن قيم المجتمع التربوي بشكل خاص والمجتمع العربي بشكل عام.

أما أسس الحرية الأكاديمية وتشعباتها فهو موضوع أرجو أن تكون أبحاث الملتقى قد تناولته. واسمحوا لي بعد هذا كله أن انتقل إلى جانب هام من جوانب التربية المعاصرة ألا وهي التربية الافتراضية وأقصد التعلم عبر الإنترنت واستخدام تقنيات الاتصال الحديثة في التعلم وتحقيق التواصل المباشر بين الجامعات المختلفة وأساتذتها وطلبتها والانتقال إلى أنماط تعليمية جديدة دون الالتزام بمحددات الزمن والمكان. والمعروف أن الاتجاه نحو مفهوم التعليم الافتراضي برز ضمن اتجاهات ثلاثة هي:

1- ديمقراطية التعليم وتأمين فرص تعليم متكافئة.

2- إفساح المجال أمام القدرات والاستعدادات الفردية وتأمين فرص التفوق.

3- ظهور مفهوم مجتمع التعلم الذي يعتمد التفاعل الفكري بين التربويين والطلبة لاستخدام وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة.

تقول د. فادية المليح حلواني[9] في حديثها عن أهمية إدخال التعليم الافتراضي إلى جانب التعليم الجامعي: إنه يضمن المواكبة والتطور والتبادل المعرفي والوصول إلى مجتمع طلابي تترسخ فيه مفاهيم البحث والتعلم الذاتي والقدرة على الاستخلاص من قنوات التدفق الحر والتحليل وبالتالي الحوار وقبول الآراء المختلفة وهو ما يؤدي إلى مجتمع ديمقراطي معرفي علمي قادر على الإنتاج والإبداع والتعامل مع معطيات العصر الافتراضي بتوقيته وأمكنته وتصوراته المستقبلية وتشابكاته العولمية.

وأخيراً فإن في فضاءات التربية الحديثة من تعليم مفتوح وتعلم ذاتي وافتراضي وتخصصات دقيقة وتواصلات علمية كبيرة وتعليم مستمر وتواصل لا ينقطع عبر المواقع والتقنية المختلفة بعين الطلبة والأساتذة وبين جامعات العالم كلها واتفاقات جامعية تبادل الأساتذة والطلبة والمناهج وطرق اعتماد عبر منظمات تختبر المعايير والجودة وأبحاث ضمن الحرية الأكاديمية المفتوحة كل ذلك وغيره كثير

---

9 - د. فادية المليح حلواني، **التربية الافتراضية** في **سورية**، من بحث مقدم إلى المؤتمر الثالث للتعليم بواسطة الانترنت، القاهرة 2004/11/2.

يؤكد أن هذه الفضاءات إذا ما احتضنتها التربية العربية بأفق منفتح بعيد عن التعصب وفي ظل الثقة بالنفس واحترام الرأي الآخر وقبول كل فكر مقرون بالبراهين العلمية كل ذلك سيهيئ لمناخ ديمقراطي ينمو في حياتنا العربية والإسلامية. وتسقيه خصالنا ومبادئنا الإيمانية بالخصب والنمو والعطاء.

إن مهام جساماً يتحملها التربويون العرب للقيام بمهامهم التي نذروا أنفسهم لها وكما كان العلماء والمربون العرب والمسلمون قادرين على حمل هذه المسؤولية فإنهم بإيمانهم وقيمهم وعلمهم وطموحاتهم قادرون على متابعة حمل الرسالة وتحقيق الأهداف المنشودة لمجتمع جديد متطور وفعال له وللمجتمع الإنساني كلّه.